الفصل الثالث

الشبهات المشتركة بين المستشرقين

- أصالة القرآن والتشكيك فى قصصه وفى الاسراء وعموم الرسالة ٠
- مطاعن المستشرقين فى اسماعيل وزواجه من جرهم وأنه الذبيح ٠
- أكذوبة المزاج الدموى ـ وانتشار الاسلام بالسيف ٠
- عقيدة القدر والحرب ـ بين جبرية الاسلام وجبرية الفلاسفة ٠
- زواج النبى بخديجة ـ وبعائشة ـ وحديث الافك ٠
- وصف النبى بأنه شاعر أو ناثر مبدع ـ ودعوى تأثير البيئة فى القرآن ٠
- ما سر الصراع بين الاسلام والكفر؟ ـ تصوير النبى بأنه بطل ـ ومصلح ٠
- نقض مطاعن فى القرآن ٠

مع شيء من التجوز نقول « شبهات المستشرقين » والحق أنها فى أغلب الأحيان : مفتريات وتشكيكات يقصدون الى اثارتها قصدا ابتغـــاء الفتنة ، لا طلبا للمعرفة أو الهدى ·· وهذه المفتريات معظمها قال به أكثر من واحد : « **أتواصوا به ، بل هم قوم طاغون** »(١) ·

ومن هذه النقاط المشتركة التى ترددت فى كتبهم ما نورده فيما يلى :

● **التشكيك فى أصالة القرآن :**

من الشبهات دعوى أن القرآن قد استقى من الكتب المقدسة السابقة ما جاء فيه ، وقد يبالغ بعضهم فيتهم القرآن بأنه ناقل عنها قصصها مشوها ـ وسيأتى ذكره والرد عيه ، عنـد مناقشة « فرانك فوستر » ·

● **التشكيك فى قصص القرآن :**

من حملاتهم التشكيك فى قصص القرآن حتى يتيسر التشكيك فى ثبوت القرآن كله · وتبعهم أحد المعاصرين فقال ان قصص القرآن انما هو للحكمة وليس خبرا عن تاريخ وقع · وفضح الله خبثهم فاثبتت الدراســات العلمية والأثرية أن كل ما فى القرآن حق وتاريخى ·

ومن هذا القبيل ذهاب « كزيميرسكى » الى التشكك فى حادث قصة الفيل وارسال الله طيرا أبابيل ·

والرد على هذا واضح ، فان العرب حين نزلت سورة الفيل لم ينكروها رغم موقف التحدى منهم للنبىﷺوقرب وقوع الحادث من عصر الرسالة· ولولا يقينهم ومشاهدة بعضهم لها اكذبوا النبى فى خبرها ·

● **انكار ارهاصات النبوة :**

هكذا قال « كزيميرسكى »(٢)و«سفارى»،وقد تناولنا ذلكبالحديث فى نقد « سفارى » ·

---

(١) الذاريات : ٥٣ ·

(٢) خاتم النبيين فى نظر المستشرقين ص ٢١ ·

● شق صدر النبى :

انكره « سفارى » وسنرد عليه ، كما انكره « كزيميرسكى » فى مقدمته لترجمة القرآن عن تاريخ محمد ﷺ .

● عموم الرسالة :

ومما يثيرونه دعوى ان محمدا رسول للعرب وحدهم ، هكذا قال « سفارى » و « كزيميرسكى »(٣) وغيرهم ، وقد افضنا فى بيان عموم رسالته صلى الله عليه وسلم ، عند ردنا على المستشرق « م . سفارى » بما فيه الكفاية .

● انكار الاسراء والمعراج :

والتشكيك فى وقوع ذلك نهائيا او فى وقوعه بالجسم مما اثاره المستشرقون ، وقد رددنا على « كزيميرسكى » و « سفارى » فى هذا فارجع الى ذلك .

● اتهام النبى محمد صلى الله عليه وسلم بأنه مؤلف القرآن :

من شبهاتهم انكار نزول القرآن ودعوى ان محمدا ﷺ هو صانعه ومؤلفه .

قال بهذا المسيو « جاستون فييت » فى كتابه « مجد الاسلام » من محمد الى « فرانسوا الأول » فى القرن السادس عشر الميلادى وقال : كانت اسرة بنى امية ارقى من اسرة محمد فى الجاهلية .. وافترى مفتريات كثيرة . وهو كتاب يقع فى (٢٥٠ صفحة) عرضه وعلق عليه حسين يونس فى مقال ، وقال بهذا « م . سفارى » ، و « فلهاوزن » وآخرون .. ورددنا هذه الفرية عند مناقشة « سفارى »(٤) . وسيأتى الرد على هذا ايضا فى فصل « دعوى تأثير البيئة فى القرآن » .

---

(٣) المرجع السابق ص ٧٥ .

(٤) راجع فى كتابنا عنه الموضوعين : « هل الاسلام من صنع محمد ؟ وهل كان للنبى مطامع ؟ .. » .

دعـوى أن محمدا صانع الاسلام

اعتقد « كزيميرسكى » هذا وبنى عليه أن محمدا هو الذى حـــرم رواج نساء النبى على المسلمين من بعده ٠

ويضطرب قوله فيقول : ان محمدا خالف القرآن فى تزوجه بأكثر من أربعة(٥) فلو أن محمدا هو صانع القرآن لما أوجد فى نصوصه ما يثير عليه شغب خصومه من قراء القرآن ٠

وقد قال « جورج سيل » الذى ترجم القرآن فى أوائل القـرن الثامن عشر الميلادى : ان محمدا مخاتل اخترع الاسلام اختراعا ٠ واتهمه بالوثنية ، وجرى « سفارى » فى التاريخ للنبى على هذا وقد رددنا عليه ٠

أما وثنية محمد التى زعمها « جورج سيل » فهى دعوى يعـرف كذبها الجميع فمن هو الذى هتف بالقرآن « **قل هو الله أحد ٠ الله الصمد ٠ لم يلد ولم يولد ٠ ولم يكن له كفوا احد** »(٦) ، « **وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء** »(٧) وكما قال صديقى الأستاذ « ثالونى غبريال يسى » : ليس هنالك دين أنقى فى التوحيد من الاسلام ٠

وقد اضطرب « بودلى » مثل اضطراب « سفارى » فى الاعتقاد بأن محمدا ﷺ أخذ دينه من فم « بحيرا » بالرغم من أن مقابلة النبى « لبحيرا » كانت فى العاشرة من عمره ﷺ ، وانه لم يقابل « بحيرا » الا مرة واحدة ، وقد قال : ان محمدا قابل فى سوق عكاظ (المجمع الأدبى والدينى) كثيرين فتأثر بذلك فكره ، ونضج عقله ، حتى كانت ثمرة هذه المقابلات « دين محمد » ٠

وكأن سوق عكاظ جامعة دراسية فيها المحاضرون المنتدبون من أطراف المعمورة يجلسون الشهور لاعداد جيل ٠٠ وكأن هذه الجامعة ليس لهـــا تلميذ الا محمد « منتج الاسلام » ـ كما يزعم « بودلى » ـ وقد وقع كتاب

---

(٥) خاتم النبيين فى نظر المستشرقين ص ٨٤ ، ٨٥ ٠
(٦) سورة الاخلاص ٠ (٧) البينة : ٥

تاريخ الأدب العربى فى أحبولة المستشرقين هذه فجعلوا من عكاظ لا سوقا تجاريا كغيره من الأسواق ، ولكن مدرسة فلسفية وأدبية لم يجد التاريخ بمثلها ـ صهرت الأدب العربى فى بوتقة الجمال والكمال ..

انه سوق كسائر الأسواق اشبه بمولد السيد أحمد البدوى أو « ابراهيم الدسوقى » فى مصر ينعقد أياما ، ثم ينفض فيه المرتزقة من بيع السلع والمرتزقة من الفكر بالشعر (المواويل) أو بالحيل البهلوانية والشعوذة .. أو بالدين كأدعياء التصوف ، وكل هؤلاء لا يمكن ومهما تفرغ المرء للتتلمذ عليهم فهم أعجز من أن يصنعوا مفهوما للحياة الأولى والآخرة ، وعالم الغيب والشهادة ، كالمفهوم الذى يعبر عنه بدين الاسلام ، وأن يورثوا أحدا ذلك المفهوم .

والحق أن « بودلى » فى تخيله أن رسول الله ﷺ أخذ من فم « بحيرا » لم يقصد نفى رسالته ، اذ أنه أثبتها قائلا فى مقام آخر : ان بساطة النبى فى طعامه ولباسه ـ وفى يده أن تساق له الدنيا جميعا ـ لو أراد ـ دليل على أنه رسول الله .

* * *

● **مسيحى ينقض قول « فييت » ، و « جورج سيل » :**

وقد أصدر بشرى زخارى ميخائيل كتابه « محمد رسول الله .. هكذا بشرت الأناجيل » وعقد فيه فصلا لاثبات أن القرآن كلام الله (٨) واستدل بالأدلة الآتية على هذا :

١ ـ القرآن يتضمن ما جاءت به الكتب السماوية المنزلة من قبل .

وهذا التشابه الذى ذكره زخارى فى الاستدلال على صدق دعوى النبى الرسالة هو الذى استدل به النجاشى حين قرأ جعفر بن أبى طالب القرآن عليه فقال : « والله ان هذا الذى تقرؤه والذى أنزل على عيسى ابن مريم ليخرجان من مشكاة واحدة » ، والاستدلال بالتشابه فى الملامح الرئيسية

---

(٨) محمد رسول الله ص ١٤ نشرته دار « عالم الكتب » .

برهان علمى يتبع فى علمى الأنساب (العيافة) والأجناس . وقد أفاض الكاتب فى استقراء المبادىء التى جاء بها القرآن .

٢ ـ لو كان القرآن من عند محمد لما رفع قدر المسيح أو موسى الى منزلة عالية . بل لكان أقل ما يجب هـو الصمت عن معجـزات موسى وعيسى وغيرها كى لا يضع فى يد الخصم سلاحا ماضيا . كما هو فى شـأن المسيح .

٣ ـ لو كان محمد هو صاحب هذا القرآن ، ونسب هذا النظـام العظيم الى الله . أو الى أية جهة أخرى لكان ظالما لنفسه أشد الظلم اذ بخسها حقها ، وحرمها هذا المجد الذى يؤهلها له هذا الكتاب العظيم الذى يتحدى الانس والجن وأعجزهم أن يأتوا بمثله . ولكان من حق من يصدر عنه هذا الكتاب المعجز القاهر أن يكون فوق العالمين . مستندا الى ذاته لا الى قوة الهية تسنده . ولذا كان القرآن الهى المصدر .

وأما النبوة فقد استدل عليها بالآتى فى فصل عقده لهذا :

١ ـ بساطته وزهده كما قال « بودلى » .

٢ ـ لو كان محمد يبغى بدعوته تمجيد نفسه أو خاصة قومه لما جعل لأهل الكتاب فى كتابه كرامة ومنزلة .

٣ ـ ولما قاوم المشركين منذ أول لحظة . بل استدرجهم ولم يفاجئهم بعيب آلهتهم .

٤ ـ ولو أنه كذلك يبغى مجده الشخصى لكان لهذه الفتوح عائد مالى تضمه له خزينة . ولكنه مات ودرعه مرهونة عند يهودى فى شعير اشتراه لطعام أهله ، أيحسب فى المخادعين والكذابين والمضللين .. من يرد كل هذه الدنيا التى وضعت بين يديه ؟ !!

٥ ـ بشارات الأناجيل بمحمد . وقد ذكرها وفند الشروح الخاطئـة لها ، مثال ذلك ما جـاء فى سفر التثنيـة (١٨ : ١٧ ـ ٢٠) وقـد عقـد لها فصلا خاصا يمكن الرجوع اليه .

٦ ـ ويمكن أن نضيف الى هذا أن ما نطق به النبى من حديثه يختلف فى بيانه عن أسلوب القرآن المعجز . وهذا الاختلاف الكبير بين الأسلوبين دليل على أن القرآن وحى نزل على النبى ﷺ وليس من ابداعه وانشائه ، وهو دليل نبوته ، اذ الأسلوب من سمات الشخصية ، وقد رأينا القرآن يختلف عن أسلوب النبى ﷺ .

* * *

مطاعن المستشرقين فى اسماعيل عليه السلام

ان تجريح اسماعيل أو انكار علاقته بالعرب ، أو انكار علاقة النبى محمد ﷺ به وهو ابن ابراهيم الخليل الذى تعتز به العرب : أمور اهتم بها المستشرقون ، لأن القرآن والسنة أثبتا علاقة اسماعيل بابراهيم وبالكعبة وبمحمد ﷺ وبالعرب ، فهدم هذا أو التشكيك فيه هدم للقرآن ولرسالة النبى الذى جاء به ، أو تشكيك فيهما .

وقد ردد هاشم العربى فى تذييله هذه المفتريات ، وأجاب عنها الشيخ محمد حلاوة المرصفى فقال : « ثم طعن فى أخبار اسماعيل كلها : (١) من سكناه مكة ، (٢) ومن مصاهرته لجرهم ، (٣) ومن كون اسماعيل هو الذبيح » .

● **سكنى مكة :**

وقد استدل فى انكاره سكنى مكة بثلاثة مواضع من التوراة .

أولها : مصرح بأن سكنى اسماعيل كانت بـ « فاران » ، وهى برية بين بلاد مصر وديار « ثمود » .

وثانيهما : مصرح بأنه سكن أمام اخوته بالشام بأرض كنعان .

وثالثهما : مصرح بأنه لما مات أبوه دفنه بقرية « المكفيلة » بأرض كنعان ، وبين هذه القرية وبين مكة مسافة لا يقطعها الراكب المجد فى أقل من عشرة أيام .

فلو كان اسماعيل فى مكة عندما اتاه نعى أبيه لما استطاع أن يدفن أباه الا بعد عشرة أيام ٠

الجـــواب :

ان هذا الاختلاف فى النسخة الواحدة من التوراة فى الواقعة الواحدة يرفع الثقة بها ٠ ويمنع الاستدلال بنصوصها ٠ فالدعوى باقية بحالها ٠

وأما نحن فلنا دلائل صحيحة وشواهد كذلك ٠ منها :

(ا) قول « جرجيس صال » فى الفصل الأول من كتابه : ان العرب سموا عربا لسكناهم العربة ، وهى أرض تهامة ، والمراد بها مكة ، لأن لسان العرب فسرها بذلك ، وقد استشهد بقول بعض الشعراء العرب يمدح مكة والنبى ﷺ :

وعربة أرض لا يحل حرامهـــــا من الناس الا اللوذعى الحـلاحل

يريد بالعربة مكة ، وباللوذعى الحلاحل النبى ﷺ ، لأنها حلت لـه لا لغيره يوم فتح مكة ساعة من نهار ٠

وقد قام الدليل ـ يعنى التواتر على الأقل ـ على أن العرب أولاد اسماعيل ، فبالضرورة يكون المسكن واحدا ، والموطن واحدا ٠ وفى التوراة نصوص كثيرة على نسبة العرب لاسماعيل(٩) ٠

(ب) وقال « جرجيس » أيضا : ان التسمية بمكة لا تجهلها العرب ، وظنى أنه مأخوذ من اسم واحد من أولاد اسماعيل ٠

(جـ) وفى التوراة : الباب السادس والثلاثين من سفر الاستثناء ما نصه « جاء الرب من سيناء ، واشرق من ساعير ، واستعلن من جبل فاران » ٠ وتوضيح هذا أن مجىء الرب من سيناء كناية عن اعطائه التوراة لموسى ، واشراقه من ساعير كناية عن اعطائه الانجيل لـ « عيسى » ٠ واستعلائه من « فاران » كناية عن انزاله القرآن على سيدنا محمد عليهم

---

(٩) انظر رسالة اسماعيل فى التعقيب على « م ٠ سفارى » فى كتابه « مختصر حياة محمد » وسفر أشعيا : الباب ٤٢ والاستثناء : الباب ٣٦ ٠

الصلاة والسلام ، لأن « فاران » جبل من جبال مكة ، فهى المرادة بقول التوراة « سكن اسماعيل فى برية فاران » لأن استعلان الله بالقرآن لم يكن الا بمكة وما جاورها .

(د) وقال « جرجيس » أيضا : ليس لذرية اسماعيل وجه فى دعواهم أنهم عرب خلص ، لأن جدهم اسماعيل كان عبرانيا مولدا ، وانما صاهر جرهما ، اذ تزوج بابنة مضاض ، أحد ملوكهم ، فاختلطت ذريته بهم ، وصار ما معهم أمة واحدة . ومن المعلوم أن جرهما كانت فى مكة فهذا دليل سكناه مكة ومصاهرته جرهم .

واما الأدلة على سكنى اسماعيل بمكة من القرآن والسنة النبوية عندنا نحن المسلمين فمعلومة فلا نطيل بذكرها .

* * *

● التشكيك فى زواج اسماعيل من جرهم :

استدل الطاعن فى دعوى زواج اسماعيل من جرهم بدلائل .

الدليل الأول : أن جرهما كانوا أهل عمل وثروة وأنفة ، وكان اسماعيل فقيرا لا يملك الا سبعة أعنز ، وكان عبدا هجينا لكونه ابن هاجر التى هى أمة « سارة » وعادة العرب ـ وبخاصة الجرهميين ـ أن يأنفوا من زواج العبد بالحرة .

بطلان الدليل : هذا الدليل باطل من وجهين :

أولهما : أن اسماعيل حر تابع لأبيه الحر ابراهيم ، ولأمه الحرة هاجر طبقا لنصوص التوراة التى تقضى بأن تصير الأمة المستولدة حرة بمجرد ولادتها من سيدها ، فضلا عن أن هاجر تنتمى فى نسبها الى الملوك .. شاء الله أن تقع أسيرة . فهى ليست من سلالات الرقيق .

وثانيهما : أن جرهما لما أرادت السكنى بجوار « هاجر » من أجل ماء زمزم ورأوا عدم رغبتها قالوا لها : أنسكن بجوارك ، ولابنك الحق ـ متى كبر ـ فى ابقائنا واجلائنا ، وله الشطر من أموالنا ؟ فقالت هاجر :

نعم ان وفيتم . فلما ترعرع الغلام ووجدوه أفصحهم لسانا ، وأكملهم عقلا ، قاسموه أموالهم ، وفاء بالشرط ، فصار أكثرهم مالا كما روى ذلك الكامل وغيره .

فكيف يأنفون من مصاهرة من لو شاء ابقاهم أو اجلاهم ، وهم محتاجون اليه أشد الحاجة ؟ !

الدليل الثانى : قال بعض المؤرخين : ان جد هذه الزوجة الجرهمية اسمه عبد المسيح ، مع أن اسماعيل قبل المسيح بألفى سنة ، فاما أن الزوجية مكذوبة ، واما أن يكون اسماعيل المتقدم على الميلاد بألفى سنة قد تزوج بامرأة لم تكن ولدت ولا ولد جدها الا بعد المسيح . وهذا ما لا يقول به الا مخبول .

والجواب : ان ما كتبه مؤرخ ليس حتما أن يكون صحيحا .

ولو سلمنا بصحة ما قيل من أن جد زوجة اسماعيل كان اسمه عبد المسيح فانه لا يدل على أن المراد بالمسيح هو عيسى ابن مريم ، وذلك لأن المسيح فى الأصل اللغوى معناه المبارك أو الممسوح بالزيت الذى بارك الله فيه ، وهو وصف يصح أن يتصف به كل نبى تمسح بهذا الزيت ، بل ويتصف به غير الأنبياء أيضا وان لم يكونوا مباركين ، فقد كان طالوت ملك بنى اسرائيل يدعى مسيحا ، مع انه ـ على زعم النصارى ـ صار فى آخر ملكه مفسدا شريرا بسبب غيرته من داوود عليه السلام عند قتله « جالوت » الفلسطينى واصراره العداوة له ، ثم غلب هذا الوصف على المسيح عيسى صلوات الله عليه ، ولذلك لا يذكر لفظ المسيح فى القرآن الا مقرونا به ما يعينه من ذكر الاسم أو النسبة للأم : « المسيح عيسى ابن مريم » .

فاذا قلنا بصحة التاريخ ، فالمراد بالمسيح ـ الذى هو من جدود زوجة اسماعيل ـ مسيح آخر نسب ذلك الجد اليه ، على حد قولهم « عبد مناف » و « عبد الكعبة » .

الدليل الثالث : وهو قوله تعالى : **« لتنذر قوما ما آتاهم من نذير من قبلك »**(١٠) .

---

(١٠) القصص : ٤٦ .

ووجه الاستدلال بالآية : أن اسماعيل لو كان صهرا للعرب لكان نذيرا لهـا . مع أن الآية نافية وجود نذير قبل محمد ﷺ .

والجـواب :

(ا) ان هذا الاستدلال أيضا باطل . لأن المراد بالقوم فى الآيـة قريش خاصة .

(ب) أو العرب الذين بعث فيهم النبـى ومن يـأتى من دريتهم أو يعاصرهم أو يأتى من ذرية معاصريهم ، وبعبارة أخرى المراد بالقـوم هم من كانوا موضوع النذارة والحديث ، وهو المعهود من الخطـاب والحديث ..

وهذا لا ينافى أن اسماعيل أرسل الى غير قريش وهم جرهم . أو أرسل الى العرب الذين كانوا قبل مبعث محمد ﷺ . فالمخالطون للرسول ثابت يقينا أنهم لم يأتهم غير محمد ﷺ فى زمانه . فالمراد بقوله « **من قبلك** » قبل اعلان رسالتك ، وليس المراد قبل عصرك على التأويل الثانى .

الدليل الرابع : قال الطاعن : ان نسبة العرب الى اسـماعيل غـير صحيحة ، وانما أنبأتهم بها اليهود ـ تحببا اليهم واستجلابا لنصرتهم ، وقد كانت اليهود تقول لهم : نحن وأنتم من ذرية ابراهيم ، وما زالت تكرر لهم الأكاذيب ، وكانت العرب أجهل من أن يردوا الأكاذيب .

والجواب : ان من علم حالة العرب وشهامتها ومعرفتها لخفيـات الأمور لم يجوز عليهم الجهل بالنسب حتى يتعرفوه من اليهود . وكيف وهم أعلم الناس بالأنساب فقد كانوا يتكاثرون ويتفاخرون بها فى أشـعارهم ، واذا كانوا يعرفون أنساب خيولهم وابلهم ونسبة سيوفهم ورماحهم الى صناعها .. أفلا يعرفون أنسابهم ، وقد روى أن حسان بن ثابت شاعـر النبى ﷺ استأذن النبى فى أن يهجو قريشا . فقال له عليه الصلاة والسلام: وكيف ونسبى فيهم ؟ فقال حسان : لأسلنك منهم سل الشعرة من العجين ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : « اعرفوا أنسابكم تصلوا أرحامكم » وقـد كان العرب يعرفون الأنساب ويحرصون عليها كسبا لقلوب من تربطهم به

مصاهرة أو قربى وان بعدت ، ولأن نسب الفرد الى القبيلة كاثبات الجنسية فى العصر الحديث ، فلا بد لهذا من حفظ النسب ليعرف من فى أهل القبيلة تعداده ومن ليس فيهم . حتى تكون غاراتهم طبقا لمعرفة تعدادهم . وان لم يكن للتعداد احصاء مكتوب . ولأن معرفة الأنساب ضرورة عند المصاهرة وخطبة أى فتاة طبقا لقانون الكفاءة الزوجية عند النكاح .

ولو قرأ هذا الطاعن كتاب « قطف الزهور » تأليف «يوحنا انكريوس» لنظر من فضل العرب ما يردع عن مثل هذه الخرافات ، ولو اطلع على كتاب « سل » الانجليزى الذى ألفه فى الاسلام لرجع طرفه خاسئا وهو حسير . حيث قال عند الكلام عن الحنفاء ـ أى العرب الذين آمنوا بالآخرة فى زمن الجاهلية ما ترجمته : « ان اليهود لم تخالط العرب بمكة ، ولكنهم لما هاجروا الى المدينة خالطوهم » .

وكان المسلمون يقولون لهم : ان أبانا وأباكم ابراهيم ، ونحن على دينه فكونوا معنا اخوة فى الدين كما نحن اخوة فى النسب ، ويتلون عليهم قوله تعالى : « **ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه** »(١١) .

وبهذا يبطل قول صاحب التذييل : ان العرب لما رأوا تعظيم اليهود والنصارى لابراهيم عليه السلام ، واستوى عند هؤلاء العرب الانتساب له ولغيره ـ اختاروه للانتساب اليه حيث كان معظما عند هاتين الطائفتين .

ويبطل قوله أيضا : ان اليهود فى أيام الأسر المصرى والبابلى تلقنوا من المصريين والكلدانيين ببابل تلك الخرافات ، فلما خلصوا وأقاموا بجزيرة العرب لقنوهم ذلك(١٢) .

* * *

● **الذبيح اسماعيل ، لا اسحاق :**

أما كون اسماعيل هو الذبيح ، وليس اسحاق كما يدعى خصوم الاسلام فواضح ، وقد تصدى لهذه الفرية قديما العلامة ابن القيم فى

---

(١١) البقرة : ١٣٠ .

(١٢) ثبات الايمان ص ٣٥ ـ ٤٩ .

مقدمات زاد الميعاد كما تعرض لها فى المتأخرين المرحوم الشيخ عبد الوهاب النجار ، وخلاصة ما قاله : ان التوراة عند ما ذكرت الذبيح لم تنص على كونه اسحاق ، وانما ذكر لفظ اسحاق عند ذكر الذبيح حشرا . والدليل على ذلك الحشر :

١ ـ أن الذبيح وصف فى التوراة بأنه ابن ابراهيم الوحيد . (الاصحاح : ٢٢ من سفر التكوين) .

ونحن اذا رجعنا الى اسحاق لم نجده وحيدا لابراهيم فى يوم من الأيام،لأن اسحاق ولد وكان عمر اسماعيل نحو أربعة عشر سنة كما هو صريح التوراة ، وبقى اسماعيل حيا الى أن مات ابراهيم وحضر اسماعيل وفاته ودفنه .

٢ ـ ان ذبح اسحاق يناقض الوعد الذى وعد به ابراهيم ، وهو أن يكون لاسحاق نسل .

٣ ـ ثم ان مسألة الذبح وقعت بمكة ، واسماعيل هو الذى كان بها كما فى الاصحاح ٢١ من سفر التكوين(١٣) .

٤ ـ توارث العرب الفخر بـ « منى » من عهد ابراهيم عليه السلام ، لذا صار هذا من شعائر الحج ، ولو كان الأمر بالذبح لاسحاق لكان النحر بالشام ، ولكانت القرابين هناك .

٥ ـ ان أمر ابراهيم بذبح ولده اسحاق تدعو اليه الخلة التى لا يناسبها حب الولد ، وقد جرت العادة بأن الحب يكون نحو الأولاد أشد ، والأول هو اسماعيل ، فالامتحان به .

٦ ـ ان اسحاق هو ابن السيدة ـ أعنى « سارة » ـ واسماعيل هو ابن الجارية « هاجر » . وقد أراد الله الرحمة لسارة اطفاء لنار غيرتها . فأمر بابعاد « هاجر » وولدها ، والأمر بذبح اسحاق ينافى تلك الرحمة .

---

(١٣) قصص الأنبياء لعبد الوهاب النجار ص ١٠١ ـ ١٠٣ ط . دار الثقافة ببيروت .

٧ ـ ان التبشير باسحاق نبيا كان مكافأة مع فداء الذبيح ، وجزاءا لنجاح ابراهيم فى امتحان الله له :

« وفديناه بذبح عظيم • وتركنا عليه فى الآخرين • سلام على ابراهيم • كذلك نجزى المحسنين • انه من عبادنا المؤمنين • وبشرناه باسحاق نبيا من الصالحين »(١٤) •

فالوجود التاريخى لاسحاق بعد قصة الذبح ، فلزم ان يكون الذبيح هو اسماعيل وليس اسحاق •

وفى القرآن ايضا قال الله عن سارة : **« فبشرناها باسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب »(١٥) •**

ووجه الدلالة : أن الله بشر « سارة » باسحاق وبأنه يعيش حتى يولد له يعقوب فلا يصح الأمر بذبح اسحاق ، والا ما أتت البشارة بيعقوب(١٦) •

* * *

مهاجمة القرآن فيما أورده عن تاريخ ابراهيم واسماعيل

١ ـ قال بعض المستشرقين ـ كما فى دائرة المعارف الاسلامية ـ : القرآن يناقض التوراة فى اسم والد ابراهيم الخليل مما يدل على افتراء محمد على الله للقرآن • وزعم « مراتشى **Prodrani Maracci** » (١٧) أن آزر تحريف لكلمة (Agae) التى وردت فى تاريخ الكنيسة ليوزبيوس ، ولم يعين لا هو ولا من نقلوا عنه تلك الفقرة التى ورد فيها هذا الاسم ـ وهو قول بعيد الاحتمال ـ على القائلين بنقض التوراة لما فى القرآن •

والجواب : ان هذا لم يقله اليهود أنفسهم مع شدة تربصهم وكيدهم للاسلام فى عهد النبى ، فكلمة « آزر » التى فى القرآن كانت تطلق بدلا

---

(١٤) الصافات : ١٠٧ ـ ١١٢ (١٥) هود : ٧١

(١٦) ثبات الايمان ص ٣٩ ، ٤٠ •

(١٧) مراتشى : قسيس ايطالى عاش فى القرن السابع عشر ، ولم يسمح له بنشر ترجمة للقرآن الا بعد الحاق معارضات للقرآن بها •

من كلمة « تارخ » . اما لأنها لقب ، واما لأنها صفة غلبت على والد ابراهيم . ولا غضاضة فى قول بعض العلمـاء : ان القرآن عبر بكلمـة « لأبيه آزر » جريا على عادة العرب من اطلاق لفظ « أب » على العم . فلا خلاف اذن . والصواب أن « آزر » هو الاسم الصحيح لأبى ابراهيم ، وأن التوراة هى المخطئة والمحرفة ، بل انها لتحرف اسم ابراهيم فتجعله ابرام ثم بعد أن بلغ ٩٩ عاما سمته ابراهيم(١٨) .

٢ ـ **وقالوا :** القرآن لم يذكر عن ابراهيم أنه بانى الكعبة مع اسماعيل عندما كان محمد فى مكة . وانما ذكر هذا فى المدينة تأليفا للعرب . وقال نيكتاس البيزنطى بذلك فى النصف الثانى من القرن التاسع مستندا الى سفر التكوين .

والجواب : ان الله ذكر ابراهيم وكان معروفا لدى جميع العرب أنه رسول الله وبانى الكعبة ، وقد تحدثت التوراة نفسها عن ابراهيم وهاجر واسماعيل (ص١٥ فقرة:١٨ و ص١١ فقرة:٢٠) فكيف يقال : ان محمدا مخترع هذه القصة وقد كان اليهود والعرب جميعا يعرفونها من قبله ؟

وقد رد جوستاف ا . فون جرونيباوم على نيكتاس بأنه لم يستند الى دليل تاريخى فى انكاره ، غير مقارنة ما فى الكتابين . وعدم ذكر الشىء ليس دليل عدم وجوده .

٣ ـ وقالوا : صرح القرآن بأن الله لم يرسل للعرب رسولا . فكيف يقال : انه أرسل اليهم اسماعيل وابراهيم . مع قول القرآن « **لتنذر قوما ما آتاهم من نذير من قبلك** »(١٩) ؟ ..

والجواب : الذى نفاه القرآن هو ارسال رسل للعرب المستعربة الذين جاءوا من نسل اسـماعيل المختلط بالجراهمة . أما غيرهم فقد صرح

---

(١٨) انظر سفر التكوين : (١١ : ٢٧ ـ ٣١ و ١٢ : ٤ و ٧ ـ و ٩ : ١ ، ١٤ ، ١٦ ، ١٨) وكتاب اسرائيل لمحمد بيومى مهران : ص ١٦٠ ـ ١٦٤ .

(١٩) القصص : ٤٦ .

القرآن بذكر ارسال الرسل اليهم كهود المبعوث فى قوم عاد وصالح المرسل الى ثمود واسماعيل المرسل الى جرهم فى اول ادوار طبقة العرب المستعربة (الاسماعيليين) . اما العدنانيون الذين نزل الخطاب للنبى بشأنهم فلم يرسل اليهم رسول قبله ﷺ .

* * *

الوحى

الوحى عند علماء المسلمين هو اعلام الله تعالى أنبياءه اما بكتاب أو برسالة ملك فى منام ، أو الهام بأن ينفث فى روع النبى ما يريد الله ابلاغه له .

سأل الحارث بن هشام رسول الله ﷺ فقال : كيف يأتيك الوحى ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : «أحيانا يأتينى مثل صلصلة الجرس وهو أشده ، فيفصم عنى وقد وعيت عنه ما قال ، واحيانا يتمثل لى الملك رجلا فيكلمنى فاعى ما يقول » .

وقالت عائشة رضى الله عنها : ولقد رأيته فى اليوم الشديد البرد ينفصم عنه ، وان جبينه ليتفصد عرقا .

وفى الحديث أيضا : « بينما انا ماش اذ سمعت صوتا من السماء فرفعت بصرى فاذا الملك الذى جاءنى بحراء جالسا على كرسى بين السماء والأرض ، ففزعت منه ، فرجعت » .

وعند نزول الوحى على الرسول ﷺ يزداد وزنه حتى يثقل على ناقته اذا نزل عليه الوحى وهو راكبها . قال ابن القيم فى زاد المعاد : ان راحلته لتبرك به الى الأرض اذا كان راكبها . وقد قال زيد بن ثابت كاتب الوحى فى صفة حال الرسول حين نزل عليه الوحى وكان فخذه على فخذ زيد : فوالله ما حدث ووجدت شيئا أثقل من فخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فظاهرة الوحى كانت مشاهدة ومعها الوعى الكامل بما أوحى به اليه ، ولم يخلط عليه الصلاة والسلام ـ ولا مرة واحدة ـ طيلة العصر

القرآنى الذى يضم كل مراحل التنزيل بين شخصيته الانسانية المـأمورة المتلقية ، وشخصية الوحى الآمرة المتعالية .

وكان اذا نزل عليه الوحى ولو ببعض آية دعا أحد كتاب الوحى فأملى عليه ما نزل من القرآن، وضمانا لحفظ القرآن من أن يخلط بالحديث قال : « لا تكتبوا عنى ، ومن كتب عنى غير القرآن فليمحه ، وحدثوا عنى ولا حرج ، ومن كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار » وفى رواية بحذف لفظ « على » ـ أو من كذب متعمدا .

هذه هى بعض صور نزول الوحى ..

أما كيف كان التلقى ، فاختلف الفلاسفة والمتكلمون فى ذلك . وجميعهم يهرف بما لا يعرف ، لأن ذلك مما استأثر الله ورسوله بعلمه ، فلم يرد نص يبين حال النبى فى ذاته ، هل انخلع من صورته البشرية الى صـورة الملكية ، أم انخلع الملك الى البشرية كما زعم الزركشى ، لأن الملك له القدرة على التشكل فى صور شتى ؟ وقد رجح ابن خلدون القول الأول .

ولا يمكن انكار الوحى لمشاهدة السابقين لظاهرته على النبى ﷺ ، ولأنه ـ كما قال الغزالى فى كتابه « المنقذ من الضلال » : قد جرب الله ذلك على خلقه بأن أعطاهم نموذجا من ناحية النبوة ، وهو النوم ، اذ النائم قد يدرك ـ يعنى فى الأحلام ـ ما سيكون من الغيب ، اما صريحا ، واما فى كسوة مثال يكشف عنه التعبير للأحلام .

أما عند المسيحية : فالوحى هو الهام الله من يصطفيه من خلقه لتدوين معلومات سمعها ، أو تنبؤات وتوقعات استشعرها ، وليس الوحى ـ عند النصارى ـ خطابا من الله للنبى ، كما هو الأمر فى الاسلام .

فالأناجيل تأليف الذين كتبوها ، بالهام وتوفيق ربانى ، وليس ابلاغا من الله لهم بوساطة الملك ـ بنصوص محددة المعنى والعبارة .

وأما فى أسفار العهد القديم فتقول : « ان الرب كلم موسى » ، أو « وكان الى كلام الرب قائلا » وجاء فى سفر حزقيال : « ان السـموات انفتحت فرأيت رؤى الله ، صار كلام الرب الى حزقيـال » .

ومن ثم : فان انبياء بنى اسرائيل يتلقون الوحى « اما من الله مباشرة ، او عن طريق « رجل الرب » ، أو عن طريق الرؤيا » .

* * *

التشكيك فى الوحى

(أ) قال كزيميرسكى : الوحى عزيمة تبلرت ورأى « انقدح فى قلب النبى »(٢٠) . فصدر عنه فى حالة انفعال بالغ وتحمس شديد بحيث لم يكن يستطيع أن يعتبره غير وحى انطقه الله به .

والجواب : وهذا قول ساقط ، لأننا جميعا نصادف كثيرا انقداح آراء فى قلوبنا وارادات مصممة لم نعزم عليه ، ولكن لا يقوى هذا على أن يكون كالقرآن ، لا فى بلاغة لفظ ، ولا فى رائع المعنى ، ولا فى امساك بمجامع القلوب . وقد كان للنبى ﷺ آراء ناضجه لم تبلغ أن تكون قرآنا. وهو ذاته قد نبه الى أن يكتب القرآن ولا يكتب حديثه ، وقد ميزه قومه بحاستهم اللغوية الأصيلة ، وأحسوا بالفرق بين القران وبين غيره . مما يدل على تميز وخصائص للقرآن عرفوها .

(ب) وذكر الدكتور محمد حسين هيكل أن مصريا نقل من المستشرقين القول بأن الوحى ظاهرة مرضية وأن النبى كان يصاب بالصرع، وأن أعراضه كانت تبدو عليه فتعتريه التشنجات وتخرج من فمه الرغوة حتى اذا افاق من نوبته تلا على المؤمنين به ما يقول انه وحى الله اليه ، وهو ليس الا اثر الصرع .

وقد اجاب عن ذلك رحمه الله قائلا(٢١) : ان « تصوير ما كان يبدو على محمد فى ساعات الوحى على هذا النحو خاطىء من الناحية العلمية افحش الخطأ ، فنوبة الصرع لا تذر عند من نصيبه اى ذكر لما مر به أثناءها . بل هو ينسى هذه الفترة من حياته بعد افاقته من نوبته نسيانا تاما ، ولا يذكر شيئا مما صنع أو حل به خلالها ، ذلك لأن حركة الشعور والتفكير تتعطل فيه تمام التعطل . هذه أعراض الصرع

---

(٢٠) خاتم النبيين فى نظر المستشرقين ص ٣١ .
(٢١) حياة محمد ص ٤٠ ـ ٤٢ الطبعة الثانية .

كما يثبتها العلم ، ولم يكن ذلك ما يصيب النبى العربى أثناء الوحى . بل كانت تتنبه حواسه المدركة فى تلك الأثناء تنبها لا عهد للناس به ، وكان يذكر بدقة غاية الدقة ما يتلقاه وما يتلوه بعد ذلك على أصحابه .

« هذا ، ثم ان نزول الوحى لم يكن يقترن حتما بالغيبوبة الجسمية مع تنبه الادراك الروحى غاية التنبه ، بل كان كثيرا ما يحدث والنبى فى تمام اليقظة العادية » كما حدث فى نزول سورة الفتح على النبى وهو قافل الى المدينة بعد ابرام صلح الحديبية .

ينفى العلم اذن أن الصرع كان يعترى محمدا ، ولذلك لم يقل بـه الا الأقلون من المستشرقين الذين افتروا على القرآن أنه حرف ، وهم لم يقولوا به حرصا على حقيقة يلتمسونها ، وانما قالوا به ظنا منهم أنهم يحطون من قدر النبى العربى فى نظر طائفة من المسلمين . أو حسبوا أنهم يلقون ـ بأقوالهم هذه ـ ظلا من الريبة على الوحى الذى نـزل عليه ، لأنه نزل عليه ـ فيما يزعمون ـ أثناء هذه النوبات ؟ ان يكن ذلك فهو الخطأ البين كما قدمنا » ..

« .. فالصرع يعطل الادراك الانسانى وينزل بالانسان الى مرتبة آلية يفقد أثناءها الشعور والحس ، أما الوحى فسمو روحى اختص الله به أنبياءه ليلقى اليهم بحقائق الكون اليقينية العليا كى يبلغوه للناس ، وقد يصل العلم الى ادراك بعض هذه الحقائق ومعرفة سننها وأسرارها بعد أجيال وقرون ، وقد يظل بعضها لا يتناوله العلم حتى يرث الله الأرض ومن عليها ، وهى مع ذلك حقائق يقينية تهتدى قلوب المؤمنين الصادقين الى حقيقتها ، على حين تظل قلوب عليها أقفالها جاهلة اياها لغفلتها عنها » .

حقا ان الوحى ظاهرة لم يعرف العلم تفسيرها حتى الآن . ولكن لا عيب على العلم فى هذا ولا عجب . « وعلمنـا ما يزال قـاصرا عن تفسير بعض الظاهرات الكونية القريبة منا » كالشمس والقمر وغيرها من الكواكب التى نراها .. فاذا كان هـذا واقعا فى الحياة العادية وفيما نشاهد ... كان البدار الى محاولة تفسير ظاهرات الحياة جميعها ـ بما فيها الوحى ـ على الطريقة العلمية محاولة عقيمة واسرافا معيبا .

« ولقد كان الوحى بعض ما شهد المسلمون أثناء حياة محمد ، وكان القرآن كلما ذكره لهم زادهم به ايمانا ، وكان منهم أذكياء غاية الذكاء . وكان منهم يهود ونصارى طال الجدال بينهم وبين النبى العربى ثم آمنوا برسالته ولم ينكروا عليه من امر الوحى شيئا ، ولقد حاول قوم من قريش أن يتهموه بالسحر والجنون ، ثم أقروا أنه ليس بساحر ولا بمجنون ، وتابعوه وآمنوا بما جاء به . أما وذلك ثابت يقينا فمما يأباه العلم وتتنزه عنه قواعده انكار حدوث الوحى والحط من قدر صاحبه ونعته بأوصاف ينكرها العلم ولا يقرها .

ومع كل هذا فالثابت عن عمر بن الخطاب وزيد بن ثابت أنه حينما كان يتغير النبى عند نزول الوحى كان يسمع عند وجهه ﷺ صوت كدوى النحل بينما المصاب بالصرع يسمع أصواتا لا وجود لها فى حس غيره(٢٢) .

وقال درمنجم : غفل المشتغلون بأمور النفس الحضريون الذين افترضوا وجود الوحى من الصرع والاستيحاء والخيال المتقد ـ عن حياة الخيام فى الصحراء ، وعما يجب أن يبديه الرجل فيها من الحنق والدهاء ليبقى زعيما بسيطا لعصبة من الأعراب .

فحياة محمد كانت منتظمة موزونة قبل بعثته بما يشمل بعد النظر ، وما انفكت تكون كذلك بعدها الا فى حالات الوحى . قال أرميا « كالأولياء الصادقين ، وكأنبياء بنى اسرائيل . انسحق قلبى فى وسطى . ارتخت كل عظامى . صرت كانسان سكران ومثل رجل غلبته الخمر من أجل الرب ، ومن أجل كلام قدسه » .

ثم ان الطب لم يعرف حالة واحدة كان فيها المريض بالهيستريا أو بأى نوع من هذه الأمراض العصبية قال ـ وهو واقع فى غيبوبة ـ كلاما مفهوما له معنى معقول ، وانما كل من يشاهد المريض ـ وهو على حالته هذه ـ يسمع منه هذيانا ، بخلاف حال النبى ﷺ .

---

(٢٢) رابح لطفى جمعة : القرآن والمستشرقون ص ٢٥ نقلا عن « أسد الغابة » وكذا ص ٢٧ نقلا عن الأساتذة كرتييه وأندرز وشاركو فى تعريفهم للهيستريا .

ومثل هذا ما قاله عاموس المدثر ببردته كمحمد .

ولم تنشأ رؤى محمد ووحيه عن مرض فيه . بل كانت تبدو عليه علائم المرض بسبب الرؤى والوحى . وهنالك ظواهر مشتركة بين مريض الأعصاب . أو المهووس ، وبين الموحى اليه الصادق فالأول منفعل غير فاعل ، والآخر مبدع فاعل .

« ثم ان من الجائز أن يقال : ان البنية المريضة قليلا تساعد على التصوف ، ويزيدها التصوف مرضا . والحق أن محمدا كان مبرأ من مثل هذه الأمراض على الدوام ، فقد كان تام الصحة الى أن بلغ سن الكمال ، ولم تبد العوارض عليه بعد هذه السن الا عند تقبل الوحى .

وانت اذا استثنيت هذا ، وانت اذا عدوت المرض الذى استولى عليه فى الستين من عمره رأيته لم يصب بغير وجع الرأس ثلاث مرات بسبب أسفاره الطويلة تحت وهج الشمس ، فيعالج بوضع المحاجم على رأسه »(٢٣) . ولقد قال بلاتوف فى تاريخ العالم : ان غاية ما نستطيع الجزم به هو تبرئة محمد (ﷺ) من الكذب والمرض(٢٤) وقال المستشرق الفرنسى لوى ماسينيون : أن محمدا (ﷺ) كان على تمام الاعتدال فى مزاجه .

وقد قال المستشرق ر . ف . بودلى فى كتابه « حياة محمد » ما يأتى : « يذكر الأطباء أن المصاب بالصرع لا يفيق منه وقد ذخر عقله بأفكار لامعة ، وانه لا يصاب بالصرع من كان فى مثل الصحة التى ظل يتمتع بها « محمد » حتى قبل مماته بأسبوع واحد . وما كان الصرع ليجعل من أحد نبيا أو مشرعا . وما رفع الصرع أحدا الى مراكز التقدير والسلطان يوما . وقد كان من تنتابه مثل هذه الحالات فى الأزمنة الغابرة يعتبر مجنونا أو به مس من الجن ، ولو كان هناك من يوصف بالعقل ورجاحته فهو « محمد » ولا شك » . ويقول ماكس مايرهوف ـ فى كتابه « العالم الاسلامى » : لقد أراد بعضهم أن يرى فى محمد (ﷺ) رجلا مصابا بمرض عصابى ولكن تاريخ حياته ـ من أوله الى آخره ـ ليس

---

(٢٣) حياة محمد لدرمنجم ص ٢٨٢ ـ ٢٨٣ .
(٢٤) القرآن والمستشرقون ص ٢٧ .

فيه شيء يدل على هذا ، كما أن ما جاء به فيما بعد ـ عن التشريع والادارة ـ يناقض هذا القول .

ونقل الأستاذ زكريا هاشم عن الدكتور يحيى طاهر استاذ الأمراض العصبية بكلية الطب جامعة القاهرة : ان النوبات الصرعية ليست نوبات نفسية ، ولكنها ناتجة عن تغيرات فسيولوجية عضوية فى المخ يفقد معها المريض شعوره . أما الأحلام والهلاوس التى تمر بذهن المريض ، فى أثناء النوبة الصرعية فما هى الا تنبيه لذكريات قديمة مرت بالانسان ، أو فكر فيها ثم حفظت فى ثنايا المخ . وتتكرر هذه الأحلام أو الهلاوس بتكرار النوبات بشكل واحد .

وبتطبيق هذا على ما كان يحدث للنبى ﷺ عند الوحى . نجد الوحى شيئا آخر . فالقرآن ليس شيئا متكررا فى كل مرة نزل فيها الوحى .. والمتكرر ليس على نمط واحد . ولكنه فى كل مرة يأتى بجديد نافع مرتبط بما قبله وبما بعده . وبلغة فصحى لم يتعلمها النبى ولا نطق بها أحد قبل الرسالة . فكان هذا دليلا على أنه رسول الله ، وان ما نزل عليه هو وحى الله وليس نتيجة صرع .

(جـ) مغالطات فلهاوزن :

أما المستشرق الألمانى « يوليوس فلهاوزن » فى كتابه « تاريخ الدولة العربية منذ ظهور الاسلام الى نهاية الدولة الأموية » فيقرر أن الذات الالهية فى الاسلام ذات حقيقية لها صفات الخلق والتدبير والعناية . وليس كذلك الفلاسفة أشبه بمعنى مجرد .

ولكنه يقول : « يبرز فى القرآن شأن القدرة الالهية تارة ، وشأن العدل الالهى تارة أخرى ، وذلك بحسب ما كان يجيء به النبى ـ عليه السلام ـ دون مراعاة للتوازن بين الطرفين ولا يشعر « محمد » ـ عليه السلام ـ بما فى ذلك من تناقض ، لأنه لم يكن فيلسوفا ولا واضعا لمذهب نظرى فى العقائد (Dogmatics) .

فالكاتب يتسلل برفق ودون الجهر بما يبطنه الى التشكيك فى القرآن بأنه مضطرب ويقول ان اضطرابه فى ذكر صفات الله « بحسب ما يجيء

به النبى ـ فليس بحسب ما ينزله الله عليه . ولاشك أنه جاهل أو متجاهل للحكمة فى ذلك . فالقرآن يرمى الى اشعار المؤمن بأنه داخل فى قدرة الله المطلقة فيخشاه ولا ينساه ، ثم يشعر بعدله فتطمئن نفسه الى صنع مولاه فهو كقوله سبحانه « **غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذى الطول** »(٢٥) ، ولا تناقض الا فى ذهن الكاتب وأين التناقض فى اضافة صفتى القدرة والعدل أو الجبروت والرحمة الى الله تعالى ؟

ثم قال : ان ما قرره الاسلام من أشياء تميزه عن اليهودية والنصرانية انما هو تعريب له أو تحريف له ، بحيث يأخذ الشكل العربى ، وما هو بعربى كالروايات المعربة والنظريات الاجتماعية والسياسية المستوردة .

وتجاهل الكاتب أن النبى ما كان يقرأ العبرية ولا العربية حتى يعرب الكتاب المقدس ، كما تجاهل أن المسيحية واليهودية من قبله كان لهما دعاة كبار لم يستطيعوا صبغ المجتمع العربى بدين منهما . وهل فى عالم المعقول أن يترك الأصل ـ مع القدرة عليه ويصار الى التقليد ؟

ثم اتهم فلهاوزن النبى بأنه لم يرد أن يتجاوز بأتباعه الدائرة التى ترسمها رابطة الدم ، « بل من الجائز أيضا أنه لم يكن يستطيع تصور امكان رابطة دينية فى حدود غير حدود رابطة الدم ، ولذلك فانه لم ير أن رسالته هى أن يضم الى دعوته اتباعا متفرقين هنا وهناك .. فكان يطمح الى أن يجعل أمته العربية كلها جماعة دينية له » .

وفلهاوزن يتجاهل بدعواه أن الاسلام عنصرى ـ ما جاء على لسان رسول الله نفسه « وكان النبى يبعث فى قومه خاصة وبعثت الى الناس كافة » ويتجاهل المعروف من أن المواطن المسلم وهو فى دولة الاسلام ، كل معتنق للاسلام مهما اختلف لسانه وجنسه ، وتجاهل نصوص القرآن فى عالميته للناس كقوله جل شأنه « **تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا** »(٢٦) ، وسنفرد لاثبات أن النبى خاتم المرسلين فصلا خاصا ، وفيه نبين أن من دواعيها ما ذكرناه من أنه دين عالمى فى الجزء الثانى من هذا الكتاب .

---

(٢٥) غافر : ٣ . (٢٦) الفرقان : ١ .

(د) تشكيكات كزيميرسكى فى الوحى :

١ ـ وكزيميرسكى لم يتهم الوحى بأنه ثمرة الصرع .. ولكنه يمهد فقط لقبول هذه القضية ، فيقول : ان النبى كان مصابا بالصرع فى طفولته ، وهذا الصرع هو الذى جعل حليمة السعدية تسلم « محمدا » الى أمه قبل انقضاء الأجل المضروب بين حليمة وآمنة(٢٧) .

والصرع مرض منفر والأنبياء يستحيل عليهم الاتصاف بما ينفر الناس منهم ويبعدهم عنهم ، وسيأتى بيان السبب عند ذكر شق الصدر للنبى ﷺ .

٢ ـ كما لجأ « كزيميرسكى » الى التشكيك فى الوحى بطريقة ثالثة ، وهى ابراز الوحى فى صورة حلم ، فأخذ برواية ضعيفة رواها ابن هشام فى أول ما نزل من الوحى . وهو قوله تعالى من سورة « العلق » : **« اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الانسان من علق »**(٢٨) فقال : ان نزولها كان مناما .. وهى رواية تخالف الصحيح الذى رواه البخارى من نزول جبريل عليه بالسورة جهرا وعلانية ، وزاد ذلك وثوقا ما رواه البخارى فى نزول آية المدثر عن جابر عن رسول الله ﷺ قال « بينما أنا ماش اذ سمعت صوتا من السماء فرفعت بصرى فاذا الملك الذى جاءنى بحراء جالس على كرسى بين السماء والأرض فرعبت منه فرجعت فقلت : زملونى . فأنزل الله تعالى **« يا أيها المدثر . قم فأنذر . وربك فكبر . وثيابك فطهر . والرجز فاهجر »**(٢٩) فحمى الوحى وتتابع » .

وقد تبين من قبل أن الوحى قد يكون رؤيا صادقة وقد يكون فى صور أخرى سبق ذكرها وقد أشار اليها القرآن فقال : **« وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحى باذنه ما يشاء ، انه على حكيم »(٣٠) .**

٣ ـ وفى موطن آخر ينسب الى محمد ﷺ انزال الآيات فيقول : وقال محمد « **ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة** »(٣١) كما يقول : ان

---

(٢٧) خاتم النبيين فى نظر المستشرقين ص ٢٢ .
(٢٨) العلق : ١ ، ٢ . (٢٩) المدثر : ١ ـ ٥ .
(٣٠) الشورى : ٥١ . (٣١) آل عمران : ١٢٣ .

محمدا نسب هزيمة أحد الى غرور المسلمين ، فأنزل القرآن بذلك ٠

وكزيميرسكى بهذا يدل على جهله ، فالغرور الذى نسبه الى المسلمين لم يكن يوم أحد ، ولكنه الاعتماد على الكثرة يوم حنين « **ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت** »(٣٢) ثم ان أحدث بحوث علماء الطبيعة الآن أثبتت امكان وجود الوحى بالأدلة العلمية(٣٣) ٠

* * *

الزواج بخديـــجة رضى الله عنها

● هل كان زواج النبى خديجة لهوى مادى ؟

اتهم بعض المستشرقين النبى بأنه كان يهاب خديجة لمالهـا الـذى يفيد منه كثيرا ٠

وقد أجاب عن هذا الأستاذ « ميور » بقوله : ان الرسول لم يتمتع بتلك الثروة ٠ ولم يتلذذ بها ٠ بل قضى حياته فقيرا ٠٠ ويروى أنه مات ودرعه مرهونة ٠٠ « وزواج أساسه المادة لا يمت الى السـعادة بشىء ٠ بينمـا نحن نعلم أن الرسول كان سعيدا مطمئنا خلال السنين الطوال التى قضاها مع زوجته خديجة بالرغم من اضطهاد قريش وايذائها له ٠ وطالمـا حن اليها بعد وفاتها ، وذكرها بالخير وعرفان الجميل » ٠

وأجاب « ستوبارت » بأن الرسول كان فى عصر شاع فيه تعـدد الزوجات سواء بين الملوك والأمراء ومن سبقه من الأنبياء ٠ ولكنـه لم يجرح قلب خديجة ٠ ولم يثر غيرتها بزواجه من امرأة فى حياتها ٠

وقال آخر : ان زواج الرسول بخديجة كان فاتحة حياة زوجية سعيدة٠ اذ كان محمد مثال الوفاء بالرغم من الفرق الكبير بينهما فى السن ٠

وقال الأستاذ «لان بول»:لو صح ما نسب البعض من أن وفاء الرسول

---

(٣٢) التوبة : ٢٥ ٠

(٣٣) خاتم النبيين فى نظر المستشرقين ، ص ٥٥ ، ٥٩ ٠

لخديجة لم يكن مبعثه الاخلاص فقط . بل كان التهيب من مقامها المالى والاجتماعى خشية مطالبتها اياه بالطلاق .. لرأينا محمدا يحمد الله على وفاتها . ويرمى بذلك العبء الثقيل متهافتا الى حياة أكثر حرية . ولكنه لم يفعل شيئا من ذلك . اذن ما كان هذا الوفاء الا نتيجة حب وشكر لها(٣٤) .

* * *

حديث الافك

● **هل يحتمل صدق حديث الافك ؟**

قال « سبرنجر Sprenger »: ليس هناك دليل على أن عائشة قد اجتازت حرمة الزوجية . ولكن بما أنها زوجة رجل شيخ وجدت نفسها وحيدة فى خلوة مع شاب . فلا يستبعد أن تصح التهمه . غير أن الرسول وجد فى الوحى ملجأ يأوى اليه ابان هذه الكارثة . ويؤيد هذا نفر آخر من المؤرخين الأجانب منهم : (Scholl) و (Abbot) .

وهى أقوال لم يستطيوا أن يقيموا الدليل على ثبوتها ، كما أنهم لم يعنوا بمناقشتها مناقشة علمية نزيهة ، يحاولون فيها اثبات «حادثة الافك» ، أو نفيها بأدلة تاريخية قاطعة ، وانما حكموا المنطق الذى لا يتفق مع الطريقة العلمية الحديثة القائمة على سرد الحقائق مجردة . ثم نقدها وتحليلها للخروج من ذلك كله برأى سليم قائم على أساس البحث والتمحيص . غير أن بعض المستشرقين ـ ممن أطرحوا الهوى وترفعوا عن التحيز وسلكوا مسلك الدليل المادى والاستنتاج الصحيح ـ استبعدوا حديث الافك . منهم موير حيث قال بعد الاشارة اليه : « ان سيرة عائشة قبل وبعد الحادث لتوجب علينا أن نعتقد براءتها من التهمة(٣٥) .. وأجابت زاهية قدوره عن سؤال طرحته فقالت (٣٦) : هل كان من المعقول أن يكون لعائشة علاقة من أى شكل كان بصفوان بن المعطل ؟ نحن نجزم بانكار ذلك كل

---

(٣٤) عائشة أم المؤمنين ص ٥٨ ـ ٥٩ .
(٣٥) حياة محمد لموير ص ٣٠٤ .
(٣٦) عائشة أم المؤمنين ص ٩٧ ـ ٩٩ .

الجزم . ولا سيما اذا تذكرنا أن الذى أشاعه هو عبد الله بن أبى بن سلول زعيم الخزرج فى المدينة ، وقد اشتمل قلبه على بغض الرسول والحسد له ، معتقدا أن الرسول سلبه ملكه ، وتذكرنا رغبة عبد الله فى تهديهم الاسلام ليفسح له المجال الى الانتصار على رجال الأوس ، والتزعم على أهل المدينة . فكان تارة ينافس زعماء الأوس بالتزلف الى النبى وأخرى يلجأ الى أعداء الاسلام ، ويؤلبهم على الرسول والمسلمين ، فلقد وجد فى حديث الافك فرصة سانحة يطعن فيها الرسول ويشهر بحليلته ، ويروى انه قبيل حديث الافك بأيام قليلة تنازع رجلان من الأنصار والمهاجرين على بئر ماء واقتتلا فغضب عبد الله بن أبى ابن سلول فقال : « أو قد فعلوها ؟ قد نافرونا وكاثرونا فى بلادنا . والله ما عدنا وجلابيب قريش الا كما قال الأول : سمن كلبك يأكلك . أما والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ، ثم أقبل على من حضره من قومه فقال لهم : هذا ما فعلتم بأنفسكم . أحللتموهم بلادكم وقاسمتوهم أموالكم . أما والله لو امسكتم عنهم ما بأيديكم لتحولوا الى غير داركم .. وبلغ الحديث مسامع الرسول ﷺ . وأسرع عبد الله فحلف بالله ما قلت هذا ولا تكلمت به ، وأحر برجل هذه أخلاقه وتلك سمعته أن تسقط روايته .

أما من جهة المتهم « صفوان بن المعطل » فسيرته لا تستدعى الشك ، ولم يذكر بسوء قط . بل انه كان مؤمنا بالرسول ودعوته . غيورا على الاسلام . فجاهد وحضر كثيرا من الغزوات ومات شهيدا . فاحترامه ومهابته لزوج النبى وبنت الصديق التى كان أبوها يحمل راية المهاجرين فى الغزوة نفسها كانت أعظم من أن تسمح له بالتفكير فيها بسوء .

أما عائشة من جهتها ـ وهى التى تقول : انها لم تعقل أبويها الا وهما يدينان بدين الاسلام ، والتى نشأت وترعرعت على فضائل الدين الحنيف ، فى بيت قائده الأكبر ، والتى تزوجت نبيه العظيم فكانت تؤمن به . وتعمل بدينه ـ فأقول : انه من الظلم الشك فى طهرها ، ولاسيما ان هذه العلاقة المزعومة كانت نتيجة صدفة واحدة ، والا لم تكن لتخفى عنهن قالة السوء والحساد والمنافقين والضرائر .

ثم ان عائشة كانت مع صغر سنها تحب الرسول حبا جما · ومن مظاهر هذا الحب غيرتها الشديدة ، ولم تتورع عن تدبير المؤامرات ضد سائر ضرائرها وبخاصة الجميلات والمحبوبات لدى الرسول · والى جانب ذلك الحب الصاخب وجد الاعجاب والفخر بزوج كان أعظم رجل تطمع فيه المرأة ، فحصولها عليه اذن كان النعمة التى لا يضاهيها شيء · وهى التى تقول « لقد أعطيت تسعا ما أعطيتهن امرأة : لقد نزل جبريل عليه السلام بصورتى فى راحته حين أمر النبى أن يتزوجنى ، ولقد تزوجنى بكرا وما تزوج بكرا غيرى ، ولقد توفى وان رأسه لفى حجرى · ولقد قبر فى بيتى ، ولقد حفته الملائكة فى بيتى ، وان الوحى لينزل عليه فى اهله فيتفرقون عنه وان كان لينزل عليه وأنا معه فى لحافه ، وانى لابنة خليفته وصديقه ، ولقد نزل عذرى من السماء ، ولقد خلقت طيبة عند طيب ، ولقد وعدت مغفرة ورزقا كريما »(٣٧) ·

وهل من المنطقى أن من تحب رجلها وتعجب به ذلك الاعجاب الشديد تبدله بمن هو أقل منه منزلة ، خاصة بعد ما نالت من زوجها حبا وتقديرا ، ليس فى امكان أحد أن يعطيها لها ؟

وهل من المعقول أن يكون محض صدفة الاجتماع الأول سببا فى علاقة كالتى اتهمت بها دون سابق معرفة أو اتصال ؟

قد يقول البعض : انها افتتنت بشبابه · فهل لهذا السبب من القوة بحيث يجعلها تتجاوز عقيدتها الدينية وطبائعها العربية وتنساق مع رغائب طارئة ـ كما يريد البعض أن يصور ـ تهدم كل ذلك الكيان الضخم الذى امتلأت به نفسها من الايمان والاسلام ، وللرسول من الشباب والحيوية والنضارة ما يوازى شباب الدنيا كلها · فما أكثر الشباب فى سنهم وهم شيوخ فى قلوبهم وعواطفهم وحيويتهم · وقد كان للرسول قدرة فائقة فى محادثة نسائه وملاطفتهن وارضائهن بحسن التعبير عن عواطفه الزاخرة ونشاطه الجم · فما أكثر ما صنع · وما أقل ما تقاعس وهدأ !! فقد قضى

---

(٣٧) رواه ابن جرير الطبرى فى تفسيره : جـ ٨ ص ٧٠ هـ القاهرة سنة ١٣٥٧ هـ (١٩٣٩ م) ·

حياته كلها محاربا مجاهدا فى سبيل نشر راية الحق والفضيلة فى الأرجاء الواسعة ، وهدم الباطل ، وثار على الظلم والفساد بتلك الحيوية ورحابة الصدر التى تحملت ثقل الجهاد ومرارة الحياة ، ولكن ذلك لم يشغله عن العائلة والبيت ، فكان أحسن أب ، وأرحم زوج وأرقه ، عادلا أعظم العدل . رغم صعوبة الموقف فى الجمع بين عدد كبير من النساء . فرجل هذا شأنه وتلك صفاته ، لا تستطيع أى زوجة الا أن ترتبط به أشد الارتباط ، وأن تخلص له كل الاخلاص ، واضف الى ذلك ما قاله الطبرى فى تاريخه (جـ ٢ ص ٢٧٠) والسهيلى فى الروض الأنف (جـ ٢ ص ٢٢٤ هامش ط القاهرة سنة ١٩١٤) عن صفوان بالذات من أنه كان رجلا حصورا لا يأتى النساء .

فلذلك كله لا يبقى أدنى شك فى براءة عائشة . وقد أجمع على ذلك المنطق المعقول والذكر الحكيم .

وقد كشف حديث الافك عن متانة عائشة وصلابتها أمام غمرة المهاجمين ، وذلك بموقفها موقف المعتمد الواثق بالنفس ، المعتقد أنه لا بد مبرأ مما نسب اليه ، ما أقسى ما رأت وما يرى البرىء المتهم والصادق المكذب من عناء نفسى !! كما كشف عن نبل أخلاقها اذ صفحت عمن أساء اليها وشملتهم بعطفها . وكانت تكره أن يسب حسان عندها .

وفى ردنا على المستشرق « سفارى » ما يعد تكمله لحديث الافك هنا ، لا نعيده منعا للتكرار . كما فيه مناقشة أخرى لما يثار حول زواج زينب بنت جحش ، وزواج ميمونة وجويرية وريحانة .

* * *

وصف النبى بأنه شاعرا أو ناثر مبدع

قال سفارى : ان محمدا أخذ ينظم القرآن ، وقال فرانك د . فوستر : « انه ناثر مبدع ، ابتكر النثر الفنى الأدبى » .

وكل ما كان من هذا القبيل مردود . لأننا نحن العارفين بالشعر منذ عهد محمد ﷺ الى الآن نعرف الشعر جيدا بضروبه وبحوره ، وليس

القرآن منه ، وان كان للقرآن تأثير فى السامع أعظم من الشعر ، بله مثله . ولا شك أن الشعراء نالوا اعجاب الناس بأناشيدهم الرنانة ، وملكوا النفوس وتصرفوا فيها بشعرهم البليغ وقصائدهم الغر ، ولكن هل رفعوا الانسانية وهم يهيمون فى أودية الخيال ؟ . كلا . ولذلك لم يكن لهم فى جمهورية أفلاطون نصيب ولا منصب ، بل انهم فى العصور الوسطى كانوا موضع صغار وازدراء . ويعتبر « البارودى » فى مصر أول شخصية ذات وزن سياسى واجتماعى تستعلن بقول الشعر فى العصر الحديث ومثاله قليلون عبر التاريخ كأبى فراس الحمدانى .

والشعراء .. من « هوميروس » الى « امرى القيس » فمن بعده من شعراء الأمم ـ لم يكن منهم الا اثارة كامن العواطف ، وتنبيه النائم من الأفكار ، أو احداث لذة أو ألم فى النفوس ، ولا ينتظر منهم أن يحلوا معضلات الحياة الانسانية ، وعويصات مشكلاتها ، وسبب ذلك أنهم فى سيرتهم وأعمالهم لا يقدمون للناس المثل التى تحتذى ، والأسوة التى يقتدى بهم فيها ، ولقد وصفهم القرآن الحكيم أصدق وصف عندما ذكر سيرتهم بقوله : « **والشعراء يتبعهم الغاوون . ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون . وأنهم يقولون ما لا يفعلون . الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات** »(٣٨) . وبهذا سجل القرآن الحكيم على الشعراء أنهم لا يؤثرون بشعرهم اللطيف الحلو على المجتمع البشرى ، لأنهم يهيمون فى أودية الأفكار والعواطف بلا ايمان ولا عمل صالح ، ولو اجتمعت لهم هاتان الخصلتان ـ الايمان والعمل الصالح ـ لكان لشعرهم أثر بارز فى المجتمع البشرى . وعلى كل فانهم ليسوا من الاصلاح فى شىء ، ولا الاصلاح من شأنهم . ولذلك لا يقدرون على القيام بمهمة اصلاح العالم وقيادة الناس الى الرشاد والكمال والفلاح الشامل ، ويشهد على صدق هذه الحقيقة تاريخ الأمم فى غابرها وحاضرها »(٣٩) .

ولهذا فان اتهام المستشرقين وأمثالهم من كفار الجاهليين قول معلوم

---

(٣٨) الشعراء : ٢٢٤ ـ ٢٢٧ .

(٣٩) الرسالة المحمدية للسيد سليمان الندوى ص ١٤ ـ ١٥ .

بطلانه أريد به الحط من قيمة محمد ﷺ وصرف الناس عن طلب الآيات البينات التى انزلت عليه لدراستها ٠

وقد تناول المستشرق « ديزيربه بلانشيه » القرآن فى كتابه « دراسات فى تاريخ الأديان » فقال : كفى هذا القرآن مجدا وجلالا ان الأربعة عشر قرنا التى مرت عليه لم تستطع ان تجفف اسلوبه ، بل لم يزل غضا كأن عهده بالحيـاة أمس ٠

ولا شك أن هذا هو بعض اسرار الاعجاز الالهى للقرآن ٠ فلو كان فعل محمد ﷺ لكان ابهاره سامعيه ٠ ولكانت طراوته موقوتة بعصره وجيله وبالجيل الذى بعده على الأكثر ثم لا يستساغ ، شأن كل عمل أدبى بشرى ٠

وقد حاول « جوستاف لوبون » الكشف عن سر اعجازه فقال : « ان القرآن وما اشتق منه هو الى الفطرة بحيث يلتئم مع حاجات الشعوب » ٠

ولا شك أن تطور الشعوب أمر متفق عليه ، وليس لبشر التكهن بالغيب حتى يرسم للبشرية دستورا يناسب كل طور ، فلم يبق الا أن يكون القرآن من مصدر غيبى من خواصه القدرة على معرفة غيب الشعوب فى تطورها ٠ وأعظم من ادراك التطور أن يصوغ دستورا واحدا بنص واحد يجد كل جيل فى أضوائه هدايته ، وما يلتئم مع حاجته « **صبغة الله ، ومن أحسن من الله صبغة** »(٤٠) ٠

وأمام اعجاز نصوص القرآن وقدرتها على أن تظل مرسلة اشعاعات الهدى والهامات الرشاد الى كل عصر وجيل وطبقة ومستوى علمى ٠٠ وقف « جون كنجسلى بيرج » رئيس ادارة النشر لمجلس البعثات الأجنبية فى المؤتمر السنوى الخامس الذى اقامه معهد الشرق الأوسط بـ « واشنطن » سنة ١٩٥١ داعيا الى استلهام القرآن وقال : وانى أحب أن اتخير آيات من القرآن تحرك لدى الالهام الدينى وأعلقها نصب عينى على جدار مكتبى(٤١) ٠

وقد قال « درمنجم » فى كتابه « حياة محمد » يرد على القائلـين

---

(٤٠) البقرة : ١٣٨ ٠

(٤١) بشرى زخارى ميخائيل : محمد رسول الله ٠٠ هكذا بشرت الأناجيل ص ٣٥ ٠

بأن القرآن عمل ادبى لمحمد ﷺ : « ان كان نبى يجب أن يأتى ببرهان من طبيعة خاصة يكون آية على صدق رسالته ، وهذا البرهان يسمى بالمعجزة، وهو يختلف عما يأتى به الأولياء ويسمى « كرامة » .

والقرآن هو معجزة محمد الوحيدة ، فان جماله الأدبى الفائق ، وقوته النورانية لا يزالان الى اليوم لغزا لم يحل ، وهما يضعان من يتلوه ـ ولو كان اقل الناس تقوى ـ فى حالة خاصة من الحماسة .

لقد تحدى « محمد » الانس والجن أن يأتوا بمثله . وهذا هو برهان رسالته بالمعنى الكامل ، ولم يكن الأمر فى القرآن يتعلق بشىء آخر غير هذه القيمة ، وهو الفرق بين وحى الاله والهام الشياطين »(٤٢).

* * *

● **تأثر زكى مبارك بالمستشرقين :**

لقد كان زكى مبارك مفتونا بالثقافة الغربية ومسالكها الفكرية ، وكان لهذا أثره فى اتجاهاته الفكرية .

وقد تناول بقلمه الأسلوب القرآنى واعجازه ، فزعم ان القرآن يعطينا صورة للنثر الجاهلى وان لم يمكن الحكم بأن هذه الصورة كانت مماثلة تمام المماثلة للصور النثرية الجاهلية . لأن القرآن نزل بلسان عربى ، فهو لا ينبو عن أذواق العرب وافهامهم ، ولا يخرج عما الفوا من طرائف التعبير والبيان .

وقد رد عليه مقاله الشيخ عبد المتعال الصعيدى قائلا : لو كان القرآن صورة مالوفة للعرب من نثرهم لما اضطربوا فى أمره حتى قالوا عنه مرة : انه شعر ، ومرة : انه سحر ، ومرة : انه كهانة . فمثل هذا الاضطراب لا يقع فى شىء مالوف لهم ، ولا فى شىء طرائقه معروفة عندهم ، بحيث لا يخرج عما الفوه فى نثرهم .

ولو كان هذا الذى زعمه زكى مبارك شأن القرآن عندهم لما كان احدهم

---

(٤٢) المرجع السابق ص ٣٤ ـ ٣٥ .

أذا سمع آى القرآن اهتزت نفسه ، ولم ينكر اعجازه ، وربما أسلم لمجرد سماعه ٠

وقد كان نثر الجاهلية خطبا وأمثالا ، وحكما وأسجاعا ، ومحادثات ومناظرات اما مرسلة أو مسجوعة ، وقد جاء القرآن بآياته البينات فريدة فى أسلوبها ٠ ومع انفراد القرآن بأسلوبه لم يكن هناك مانع يمنع العرب من فهمه ، فقد نزل معجزة تناسب ما اشتهر به العرب من الأسلوب الفصيح ، ولكنه ليس من جنس هذا الأسلوب الى الحد الذى يعد به شاهدا من شواهد النثر الجاهلى ٠

والقرآن فى اعجازه للعرب أرباب البيان كالعصا فى يد موسى عندما صاغ الله منها المعجزة للسحرة بين يدى فرعون والملأ من قومه ٠ كل من المعجزتين يشاكل ما عند القوم فى صورة من الصور ويباين ما عند القوم فى الحقيقة والجوهر وباقى البناء والشكل ٠

وقد قال زكى مبارك ان معجزة القرآن بقوة روحه ومعناه لا بلفظه وأسلوبه ، ليخرج من ورطته التى تورط فيها ٠ فانحرف به الطريق عن انهدى ٠ اذ أن بلاغه القرآن حين نقول انها فى لفظه لا نعنى بها الزخرف ، وانما نعنى حسن مطابقة اللفظ لمقتضى الحال ، وحسن دلالته على المعنى المراد ٠ وقديما سئل أحد النقاد عن البلاغة أترجع الى اللفظ أم الى المعنى ؟ فقال : أى شقى المقص يكون هو المقص الذى يقطع ؟

ان القرآن معجز بالمبنى والمعنى وبسر من أسرار الله فيه لا ندريه ٠ ولا يخضع لما نسميه قواعد النثر الفنى أو الأدبى ، وان كانت هذه القواعد مما يحتويه القرآن الكريم ٠

* * *

« جب » ودعوى تأثير البيئة فى القرآن

قال : « هنرى جب H. A. Gibb » فى كتابه : «المذهب المحمدى» ن محمدا صنعته بيئته الخاصة بمركزها الثقافى والدينى والتجارى ٠ وبحكم مركزها بين العالم وصلتها بأرقى شعوبه ، وبحكم ما أصاب أهل

عصره من انحلال وتفلت عن الدين اقتضى أن يصلحه فى ظلال الدين الذى ملك على مكة وحجاجها مشاعرهم ، فما فى القرآن ثمرة طبيعية لنشأة محمد فى مكة ، وقد نجح لأنه كان واحدا من المكيين ، وما كانت حرب قريش للنبى الا خشية على حياة زعمائها الاقتصادية أن يزلزلها نظام محمد الجديد ، وأحيانا خشية على السلطة السياسية التى تبوأها بعضهم أن تسلب من أيديهم · فالقرشيون يؤمنون بالله كما يؤمن ، وان كان قد وحده توحيدا لم يصلوا هم ولا غيرهم اليه ·

وزعم « هنرى جب » أن قريشا حاربت محمدا كذلك بسبب ما أخذه عن المسيحية وبخاصة السريانية من أخبار الجنة والنار ، وهم لا يؤمنون بالجزاء الأخروى أبدا ·

ثم يضطرب « جب » فينكر أن تكون حرب العرب لمحمد صلى الله عليه وسلم سببها التمسك بالقديم كما هو مفهوم من الآية « **بل قالوا انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مهتدون · وكذلك ما أرسلنا من قبلك فى قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على** آثارهم مقتدون · **قال أو لو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم ، قالوا انا بما أرسلتهم به كافرون** »(٤٣) · فـ « جب » يريد أن نكذب القرآن ونكذب السنن الطبيعية المشاهدة من احتفاظ كل شعب بتقاليده ومن مقاومته بعنف كل ثورة عليها وان كانت الثورة اصلاحية تماما ·· ثم نصدقه دون دليل على مزاعمه ·

* * *

● **تأثر طه حسين بالكاتب :**

وهذه الفكرة المسمومة قد أثرت فى كتاب من تلامذتهم فى الغرب ، ومن هؤلاء الدكتور طه حسين فى كتابه « الشعر الجاهلى » الذى أهداه الى صاحب الدولة عبد الخالق ثروت باشا فى ٢٢ من مارس سنة ١٩٢٦ فقد جاء فى كتابه : « ان القرآن نزل فى مكة وهى ذات حضارة قائمـــة

---

(٤٣) الزخرف : ٢٢ ـ ٢٤ ·

فصور الحياة الجاهلية تصويرا صحيحا ، ورد على فرق من العرب كانت تمثل اتجاهات دينية ومذهبية فى البلاد العربية نفسها . ولذلك فهو يعبر عن هذه الحياة العربية تعبيرا صادقا ، ولا يعبر عن غيرها ، ويرسم للعرب طريق الحياة الفضلى ، وما حديث القرآن عن مودة النصارى للنبى الا لأن البيئة التى ظهر فيها لم تكن نصرانية ، ولو ظهر النبى فى الحيرة أو نجران للقى من نصاراها ما لقى من مشركى مكة ويهود المدينة »(٤٤).

● **تعقيب :**

وهذا انحراف عن الحق الذى جاء به القرآن واثبته التاريخ . اما القرآن فقد قال عن سبب المودة شيئا آخر غير الذى قاله طه حسين « **ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون . واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق** »(٤٥) فالسبب اذن هو أن النصارى العرب كانوا وراء قساوسة ورهبان متواضعين للحق، ليسوا تجارا بالدين، وانهم عرفوا صدق محمد ﷺ فى مبادئه التى نادى بها والتى سماها الله الاسلام . وأما التاريخ فقد قرر أن النبى كان بعيدا عن نصارى الحيرة وشمال غرب الجزيرة التابعين للروم ، وعن الروم انفسهم . ومع هذا فقد كانت حروب بين النبى وبينهم كان الدافع اليها من نصارى الروم ليس الدفاع عن المسيحية ، وانما هو الحرص عى بقاء بلاد العرب مستعمرة للروم ، فطه حسين انما يكذب القرآن ـ من حيث لا يدرى ـ بدعواه هذه .

وقد سيطرت نظرية آثار البيئة على كتاب القرن الماضى واوائل هذا القرن تأثيرا كبيرا حتى أصبح يفسر بها ظواهر التاريخ ، فقال طه حسين : « ان تعلم اسماعيل لغة العرب من جرهم هو أسطورة . فهناك فرق كبير بين لغة العدنانيين ولغة القحطانيين ، وسبب الأسطورة ـ فيما يرى ـ هو رغبة مكة ، فى قيام وحدة سياسية وثنية مستقلة بين الجنوب

---

(٤٤) الشعر الجاهلى : ص ٢٨ .
(٤٥) المائدة : ٨٢ ، ٨٣ .

والشمال تحمى البيئة العربية من شر تدخل الروم والفرس والحبشة فى شئون العرب الدينية والاقتصادية »(٤٦) .

وهو بهذا يكذب هجرة ابراهيم باسماعيل الى مكة رضيعا حيث اسكنه بين رعاة لم يكن له خيار فى تعلم لغتهم وهم الجراهمة .

* * *

● **الرد على « جب » وطه حسين :**

ان طه حسين يمثل تلامذة الغرب والمستشرقين اكمل تمثيل ، فهو ربيب افكارهم ومناهجهم حتى انهم لو سلكوا جحر ضب خرب لسلكه معهم ، فنحن نراهم يهاجمون رجال الدين فى بلادهم فيهاجم هو ـ فى كتابه مستقبل الثقافة فى مصر ـ رجال الأزهر هنا بقوة ، وينثنى الى رجال الكنيسة القبطية ناقدا فى رفق .

و « جب » يجنح الى سلسلة من الخيال الفكرى تؤدى الى نتيجة حاطئة هى ان القرآن بشرى المصدر ، فهو نضح البيئة العربية المكية ، وتعبير عن مطامحها الاصلاحية فهو بهذا ليس دينا عالميا ولا وحيا الهيا ، ويقرر فى كتابه « المذهب المحمدى » أن القرآن أخذ من الوثنية والمسيحية واليهودية مضمونه ، كما قال الجاهلون فى عهد محمد عليه الصلاة والسلام « وقالوا اساطير الأولين اكتتبها »(٤٧) ولكن فى عبارة جديده .

وطه حسين يقول : القرآن رد على المسيحية واليهوديه والوثنية بعد ان حكى مفاهيمها جميعا . وحكايه هذه المفاهيم انما هى انطباع بالبيئة ، والرد انطباع آخر وثمرة الانفعال بالانحراف الشديد فيها والغضب عليه ، والنتيجة التى يسلم اليها هذا القول هى أن القرآن بشرى حين يقال : «اخذ» من البيئة والثقافات التى فى طوائفها ، وحين يقال « رد » على ذلك الذى جاء على لسان المسيحية والوثنية .

---

(٤٦) الفكر الاسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى للدكتور محمد البهى ص ٢٠٧ ـ ٢٠٨ .

(٤٧) الفرقان : ٥ .

وقد عقد الدكتور محمد البهى فصلا عن بشرية القرآن وازن فيه بين « المذهب المحمدى » و « الشعر الجاهلى » وصل فيه الى النتيجة التى ذكراها(٤٨) ورد عليهما وقال : ان العرب لم يكونوا على علم واسع بهذه الدرجة التى يضمها اطار القرآن الكريم بمعلوماته المنوعة الرائعة المبدعة بل كانوا كما قال القرآن : «**كانوا من قبل لفى ضلال مبين**»(٤٩) ، ورسالته لم تكن موجهة لقومه خاصة حتى توصم بالطابع المحلى ، وانما كانت للأميين وغيرهم ـ العرب وسواهم ـ القارئين وغيرهم . لا يحدها زمان ولا مكان كما قال القرآن نفسه : « **هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين . وآخرين منهم لما يلحقوا بهم ، وهو العزيز الحكيم** »(٥٠) .

والنبى ليس نضح البيئة . بل هو مبعوث الله « **هو الذى بعث** » سبحانه وتعالى ، والنبى ليس فى مقاله انطباع رجل بالبيئة والتيارات الفكرية التى تولدها الحياة الاجتماعية بها « **ان اتبع الا ما يوحى الى** »(٥١) ، والمستشرقون الذين يؤمنون بأن الانجيل وحى نازل من السماء ، ويكفرون بأن القرآن وحى نازل من السماء ، يقولون بترجيح احد المتماثلين بلا مرجح . وهو ما لا يقبله المنطق .

* * *

● **اضطراب « بودلى » :**

فهو يصر على أن القرآن كتاب بشرى تحتاجه البيئة ، وكان موائما لها ، ولذا كان نجاحه فيها . ثم يقول : انه فتح الأمصار وغزا العالم بخواص ذاتية فيه . ثم ينتكس ويقول : وقد رفضته فرنسا لعدم صلاحيته لها وكأنه عنصر غريب دخل الجسم فلفظه ، واليك بعض الاضطرابات بعبارة « بودلى » :

---

(٤٨) راجع : الفكر الاسلامى الحديث وصلته بالاستعمال الغربى ص ٢٠٧ ـ ٢١١ .
(٤٩) آل عمران : ١٦٤ .
(٥٠) الجمعة : ٢ ، ٣ .
(٥١) الأنعام : ٥٠ .

قال « بودلى » فى انتشار الاسلام لذاتيته : « فما كان محمد يهمل امر الله ابدا ، وما كان يسمح لمركزه أن يدير رأسه ، وسواء اقرأ الانسان لكتاب من مناصرى محمد ، أو لكتاب من أعدائه ، فانه ليجد أنهم جميعا قد اتفقوا على أن البساطة والوقار كانتا تعم حياته ، والبساطة المتناهية هى احدى قوى الاسلام الأساسية . وانها لاحدى أسباب انتشاره الملحوظ ».

ثم قال : « أكان فى مقدور رجل ـ ما لم يكن ملهما ـ ان يأتى الى الوجود بمثل هذه الأخوة العالمية ، وهلا تنعكس سخرية المعادين للاسلام عليهم ؟ وكيف يخلف دجال عقيدة ازدهرت ونمت بعد موته ؟ ان عدد معتنقى الاسلام ليزيد اليوم بمقدار ربع مليون فى كل عام . وهذا دون ضغط أو ارهاب لنشر رسالة الاسلام .

ولم يكن لمحمد « بوليس » : وكان جنوده هم ناشرو الاسلام الأصليون ، وقد تركوا الاسلام ثابت الدعائم حيثما ذهبوا . وأن هذا ليجعل المرء يتساءل عما كان يحدث لو أنه كان هناك ارساليات عربية عظيمة تبشر بالقرآن كارساليات المسيحية الأولى . وما كان هناك دعاة عظام للاسلام بالمعنى المعروف ، فقد كان الناس الذين يتعاملون ـ وهذا الدين ـ يحبونه ، فكانوا يقبلونه ويدخلون فيه » .

ثم ينقض ما قاله فيقول :

« ومن الناحية الأخرى فان الاسلام لم يبق فى دولة تختلف عن مكان مولده كل الاختلاف ، فقد حكم المسلمون اسبانيا حكما رائعا خمسة قرون ، ولكن لما عاد الملوك المسيحيون وديوان التفتيش المقدس حبت عقيدة المسلمين وماتت .

وزيادة على ذلك فما كانت أوروبا لتعتنق الاسلام لو أن « شارل مارتل » قد هزم فى « تور » ، فان هذا الدين يوائم أناسا غير معقدين ، وكان محمد غير معقد »(٥٢) .

* * *

(٥٢) المستشرقون والاسلام لزكريا هاشم زكريا ص ٥٣١ ـ ٥٣٢ .

● **بطلان مقال « بودلى » :**

الدليل على بطلانه : أن الاسلام الآن لا يزال فى مصر والسودان وشمال افريقيا وتركيا وافغانستان وباكستان واندونيسيا والفلبيين وجاوة وسومطرا .. وهى أماكن تختلف كل الاختلاف عن الجزيرة العربية مولد الاسلام ، وأما أن أوروبا تخلى كثير من بلادها عن الاسلام لأن شعوبها تجنح الى التعقيد ، فذلك غير صحيح . بدليل أن الاسلام لا يزال فى تركيا ، وقد كان يسود بلاد روسيا وكثيرا من المناطق الأوروبية بعد معركة « شارل مارتل » ، وبالرغم من محاكم التفتيش ، حتى ازداد التسلط الصليبى بأساليبه العلمية الجديدة بعد عصر النهضة . وكان اضطرار المسلمين الى ترك فرنسا والمناطق الشمالية بسبب شدة برودة الجو أبرز العوامل التى أدت الى بقاء أوروبا مسيحية استفادت من العلوم الاسلامية الطبيعية والكونية ، لأنها ضرورة للبقاء الجسدى وتوفير سعادته . أما الروح فمستوى رفيع لم تنتهيأ أوروبا لتوفيره لنفسها من مأدبة القرآن فى سرادق الاسلام العظيم .

* * *

سر الصراع بين الاسلام والكفار

قال الأستاذ « مونتمرى وات » عميد قسم الدراسات العربية بجامعة أدنبره فى كتابه « الاسلام والجماعة المتحدة » : ان المعركة بين محمد ـ عليه السلام ـ وبين كفار قريش لم تكن معركة بين دعوة تجديد ودعوة محافظة على القديم ، بل كانت معركة بين حركة تجديد وحركة تجديد أخرى ولكن فى طريقين مختلفين بل متعارضين .

كانت حياة كفار قريش تتحول من معيشة البداوة الى معيشة الحضارة التجارية ، وكانت ثروة الأرباح من تجارة القوافل تتدفق على زعماء العشائر القوية فى مكة وتتحول بهم من أخلاق فرسان البادية الى أخلاق السادة المنعمين فى الحاضرة . بينما أناس من عشائرهم وأتباعهم وعبيدهم يخدمونهم مضطرين ، ولا يشاركونهم فى نعيم الثروة ولا فى عزة السطوة ، فهم كسادتهم غير محافظين ، وغير مطمئنين الى ما هم فيه ، وان كانوا يخافون التغيير المجهول ، ولا يسلمون زمامهم للمصلحين ،

فهم على غير ثقة بعاقبة هذا التغيير . فلم يكن السادة ولا العبيد اذن محافظين على القديم ـ كما زعموا لاقناع أنفسهم بمحاربة الدعوة المحمدية ، وفاءا منهم لآبائهم ، وأجدادهم ، ورعاية منهم لأربابهم ومعبوداتهم ، بل كانوا جميعا يتحولون من سنن أولئك الآباء والأجداد فى معيشتهم واخلاقهم . ويأخذون فى معيشة جديدة شعارها الترف والمنعة ، وأملها الأكبر زيادة الثروة والسطوة ، وحقيقتها الواقعة هى حقيقة كل متعة حسية .

وهذه هى الحياة التى وصف القرآن أصحابها فقال : **« أفرايت من اتخذ الهه هواه »(٥٣) ، « وقالوا ما هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر ، وما لهم بذلك من علم ، ان هم الا يظنون »(٥٤) .**

« اما التغيير الذى جاءت به الدعوة المحمدية فقد افلح واستقر ، لأنه أعطى النفس الانسانيه ـ كما اعطى الجماعة كلها ـ حياة أفضل من حياتها ، وغاية أحق بالسعى اليها من غايتها(٥٥) هى الآخرة والوحدة الانسانية على قدم المساواة ، وعلى قاعدة عقيدة الوحدانية والايمان بالله والآخرة والكتاب .

● **وجه الخطأ :**

الكاتب فى هذا يخلط الحق بالباطل فما قاله عن رسول الله ﷺ حق وما قاله عن كفار قريش وانهم كانوا بصدد تغيير للحياة الاجتماعية وليس جمودا على ما عليه الآباء باطل ، لأن الله حكى عنهم قولهم « **انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مهتدون »(٥٦)** وجعل القرآن ما قالوه آفة اجتماعية من شأنها تعويق التطور الاجتماعى وقرر ان وجود الطبقات المترفة آفة مصاحبة ومساندة لآفة الجمود فقال « **وكذلك ما أرسلنا من قبلك فى قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون »(٥٧)** ، ولو كان لدى القرشيين رغبة فى التغيير الاجتماعى

---

(٥٣) الجاثية : ٢٣ . (٥٤) الجاثية : ٢٤ .
(٥٥) المرجع السابق ص ٥٣٢ ـ ٥٣٣ .
(٥٦) الزخرف : ٢٢ . (٥٧) الزخرف : ٢٣ .

حينئذ لكانت هذه الرغبة وحدها كفيلة بتقبل فتح باب الحوار فى المبادىء التى جاء بها محمد عليه الصلاة والسلام ، ولكان هناك جدل موضوعى ٠٠ ولكن القرآن يقول ـ فى رفضهم مبدأ التغيير من أساسه وبالكلية ـ « **قال أو لو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم ، قالوا انا بما أرسلتم به كافرون** »(٥٨) ٠

وفى مرة اخرى يقول القرآن عنهم « **أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون** »(٥٩) ٠ ومرة أخرى ينفى عنهم العلم الذى هو أساس أى اتجاه للتغيير الاجتماعى ، ويذكر النقيض للعلم وهو الجمود على الجهل فيقول فى سورة لقمان : « **ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ٠ واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا ، أو لو كان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير** »(٦٠) ٠

ولكن المستشرقين دائما يحاولون من تحت ظلال راية الدفاع عن الحق والاسلام والرسول وأمانة البحث العلمى ان يعملوا على نقض المسلمات الاسلامية والقضايا القرآنية للتشكيك فى قيمتها لدى الدارسين اذا لم يصلوا بالقارىء الى حد تجنيده لحربها كفرا بها ٠

أما أن الكفار كانوا يعبدون « اله الهوى » فليس هذا دليل التجديد ٠ بل الهوى هو الذى بعث كافة النبيين لحربه ٠

* * *

تصوير النبى بطلا ومصلحا عظيما

يحرص المستشرقون وتلامذتهم على تصوير النبى بطلا أو مصلحا عظيما ، أو سياسيا بليغا اريبا او عبقريا فذا ، هو وبعض أصحابه ، فمثلا «توماس كارليل» الانجليزى فى كتابه «الأبطال وعبادة البطولة» الذى ترجمه محمد السباعى يعده واحدا منهم فيمجده ثم يذكر « شكسبير » فيقول : ان المقارنة بين شكسبير ومحمد لتعتبر غير ذات موضوع لأن بطولة شكسبير

---

(٥٨) الزخرف : ٢٤ ٠ (٥٩) البقرة : ١٧٠ ٠
(٦٠) لقمان : ٢٠ ، ٢١ ٠

فى أعلى عليين ، بينما يقول عن العرب وتأثير الرسول فيهم « قـــوم يضربون فى الصحراء عدة قرون لا يؤبه لهم ، فلما جاءهم « محمد » النبى العربى أصبحوا قبلة الأنظار فى العلوم والعرفان ، وكثروا بعد قلة وعزوا بعد ذلة ، ولم يمض قرن حتى استضاءت أطراف الأرض بعقولهم وعلومهم »٠

وسقوط مقال « كارليل » فى تفضيل شكسبير واضح ، فالنـاس يمتازون بآثارهم النافعة من بعدهم ٠

وانما يحرص المستشرقون على تصوير النبى بصورة البطل أو المصلح أو البليغ ، لأن كل هؤلاء تنتهى معهم كل أفكارهم ، وليسوا جديرين بالخلود والاستمساك بمذاهبهم كما يستمسك الناس برسالات الأنبياء ـ ذلك ٠٠ وان كل نور يومض فى أية أمة ولو كان ضئيلا ، وكل اثارة من صلاح أو كرم خلق أو صفاء سريره وطهارة قلب فان ـ مما لا ريب فيه ـ مرده فى الأصل الى رسالات الله ٠ أى الى هداية النبيين عليهم السلام ، ولذا فمن الخسارة للانسانية أن يقف انسان ذو اثارة من علم يصرف الناس عن أى نبى من الأنبياء ، أو يحجب صفحات فضائله عن العالمين لأنه بذلك يطفىء سراجا منيرا يهدى البشرية الىأرشد أمرها ٠

ومن أجل هذه الحقيقة فان القرآن حرص على تجلية سير الأنبياء السابقين ، وروت لنا السنة ودعاة الاسلام الكثير من آثارهم عليهم الصلوات والتسليمات ، ومن الخطأ الضار بالبشرية محاولات حجب حقيقة السيرة النبوية الهادية عن البشرية ٠ فضلا عن تشويهها ٠

* * *

حول السور المكية والمدنية

● نقض مطاعن فى القرآن الكريم :

وقد كتب الشيخ محمد عرفة وكيل كلية الشريعة بالأزهر كتابا بهذا العنـوان تعرض فيه لمفتريات المستشرقين فى هـذا الباب ، وبخاصـة « طه حسين » ربيب المستشرقين الناقل عنهم ، ومن الأمثلة التى أوردها

الشيخ نقلا عن طـه حسين وأجاب عنها : قول طـه حسين : ان السور المكية فيها تقطيع للفكرة واقتضاب للمعانى ٠

وهذا مطعن فى تمام البيان القرآنى ، ربما لم يرده « طه حسين » وقد نبه الى سم هذه الفكرة الشيخ محمد عرفة فرد عليها قائلا : ان سورة الأنعام مكية ٠ وهى (١٦٥ آية) انتظمها غرض واحد هو ابطال الشرك ٠ فكيف يقال : ان القرآن المكى فيه اقتضاب للمعانى وتقطيع للفكرة ؟!!

وتناول الشيخ محمد حلاوة المرصفى مطاعن هاشم العربى فى كتاب « التذييل » وذلك فى الكتاب القيم « ثبات الايمان ونصرة القرآن » ٠ وكان هاشم العربى ذكر اعتراضات ادعى انها مخالفة للقواعد العربية وقد بلغت ٢٨ شبهة أجاب عنها المفسرون السابقون فجمعها المنتصر المدعو هاشم العربى ، وتعقبه الشيخ محمد حلاوة بالرد فى كتابه (من ص ٢٧ الى آخر الكتاب) ٠ كما تعقبه الشيخ محمد حلاوة فى دعواه وجود تناقض بين آيات القرآن (ص ١٢٩ وما بعدها) ، وفى دعواه أن فى القرآن لغوا (ص ١٤٩ من ثبات الايمان) ـ أو ان فى القرآن أخطاء تاريخية (ثبات الايمان ص ١٤٣) ـ كمـا رد على دعوى عدم اعجاز القرآن (ص ١٥١) فمن أراد الرجوع الى هذه المباحث فليرجع اليها هناك ، فليس هذا الكتاب خاصا بذلك ، وانما أردنا التنبيه الى وسيلة من وسائل الغمز فى صاحب السيرة العطرة محمد ﷺ ، وحسبنا من ذلك بعض الأمثلة وسيأتى بعض هذا ان شاء الله ٠

* * *

● **أبرز كتب المستشرقين والردود عليها :**

ابرز كتب المستشرقين والمبشرين فى مهاجمة الاسلام :

١ ـ **ميزان الحق** : للدكتور « فاندر » المستشرق الأمريكى والدكتور « **سنكليرتسدل** » ٠

٢ ـ **كتاب الهداية** فى أربعة أجزاء وهو تفنيد للاسلام وطعن سافر فى القرآن الكريم ٠

٣ ـ كتاب مقالة فى الاسلام للدكتور المستشرق « سال » ٠

٤ ـ تذييل مقال فى الاسلام : لمرتد أصبح قسيسا تسمى هاشم العربى وهو تذييل على مقالة « سال » ٠

٥ ـ مصادر الاسلام : للدكتور « سنكليرتسدل » ٠ وفيه اضافات الى أباطيل هاشـم ٠

وجميعها تهاجم الاسـلام والرسول ٠

وأهم الكتب التى ردت على المستشرقين :

١ ـ اظهار الحق : للشيخ خليل رحمة الله الهندى وهى مقالات القيت فى ندوة مع أقطاب المبشرين والمستشرقين واضطروا الى الانسحاب حتى يحتفظوا بأباطيلهم الباقية فلا يكشف الشيخ زيفها ٠

٢ ـ السـيف الحميدى الصقيل : وهـو رد على كتـاب الهـداية السـابق ذكره ٠

٣ ـ أدلة اليقين فى الرد على كتاب ميزان الحق : للشيخ عبد الرحمن الجـزيرى ٠

٤ ـ ثبات الايمان ونصرة القرآن فى الرد على هاشم العربى : للشيخ محمد حلاوة المرصفى ٠

٥ ـ كتابنا هـذا فى الرد على « م٠ سفارى » وغيره ممن تناولوا السـيرة النبوية ٠

٦و٧ ـ المستشرقون والاسلام لكل من زكريا هاشم زكريا وحسـين الهراوى ٠٠ ثم ردود كثيرة متفرقة فى كتب أو مقالات ٠

* * *